مجلة الناصرية للدراسات الاجتماعية والتاريخية
ISSN: 2170-1822,
EISSN: 2600-6189

مجلد: 13 عدد خاص سبتمبر 2022
العنوان: الأمير يحي بن إبراهيم الجدالي ويحي بن عمر اللّمتوني ودورهما في قيام دولة المرابطين.
ص ص 408. 431.

الأميران يحي بن إبراهيم الجدالي ويحي بن عمر اللّمتوني ودورهما في قيام دولة المرابطين (427-448)هـ/ (1036-1056)م

د. خالد حموم
جامعة محمَّد لمين دباغين سطيف 2
khaled_dz2011@yahoo.fr

تاريخ الإرسال: 15/ 07/ 2020 ؛ تاريخ القبول: 18/ 08/ 2022

The two princes, Yahya bin Ibrahim Al-Jadali and Yahya bin Omar Al-Lamtouni, and their role in the establishment of the state Almoravids (427-448)AH/(1036-1056)AD

Abstract:

Historians have been very interested in researching famous personalities in the state of the Almoravids, such as the jurist Abdullah bin Yassin al-Jazuli, the princes Abu Bakr bin Omar al-Lemtouni, youcef bin Tashfin, Ali bin youcef.

Through this research, I wanted to shed light on two important personalities in the history of the Almoravid state, who had an effective contribution to the establishment of their state, Yahya bin Ibrahim Al-Jadali and Yahya bin Omar Al-Lemoni.

Despite their effective role in the establishment of the Almoravid state, the historical sources and references pass

المؤلف المرسل: خالد حموم
Khaled_dz2011@yahoo.fr

when the two of them mention the passing of the honored, and they did not get enough study and research.

The first prince of the Almoravids, Yahya bin Ibrahim Al-Jadali, was the one who brought the jurist Abdullah bin Yasin al-Jazuli Within the limits of the year 427 AH / 1036 AD to his tribe Sunhajah the desert to teach them the teachings of the Islamic religion, and he entered with him in the bond for worship.

As for Prince Yahya bin Omar Al-Lamtouni, who assumed the leadership of the Almoravids after the death of Yahya bin Ibrahim Al-Jadali, he started the invasion and expansion to spread Islam in Maghreb and western Sudan to the point of his death in one of the battles in 448 AH/ 1056AD.

Keywords: Yahya bin Ibrahim Al-Jadali; Yahya bin Omar Al-Lamtouni; Abdullah bin Yasin al-Jazuli; Almoravids; Maghreb.

الملخص:

اهتم المؤرخون كثيرًا بالبحث حول الشخصيات المشهورة في دولة المرابطين، مثل الفقيه عبد الله بن ياسين الجزولي، والأمراء أبو بكر بن عمر اللَّمتوني، يوسف بن تاشفين، وعلي بن يوسف.

وارتأيت من خلال هذا البحث تسليط الضوء على شخصيتين مهمتين في تاريخ دولة المرابطين، كانت لهما مساهمة فعالة في تأسيس دولتهم، هما الأميرين يحي بن إبراهيم الجدالي ويحي بن عمر اللَّمتوني.

فرغم دورهما الفعال في قيام الدَّولة المرابطيَّة، إلَّا أنَّ المصادر والمراجع التَّاريخيَّة تمر حين ذكرهما مرور الكرام، ولم ينالا حضًا كافيًا من الدِّراسة والبحث.

المؤلف المرسل: خالد حموم
Khaled_dz2011@yahoo.fr

فالأمير الأول للمرابطين يحي بن إبراهيم الجدالي هو من جلب الفقيه عبد الله بن ياسين الجزولي في حدود سنة 427هـ/ 1036م إلى قبيلته صنهاجة الصحراء ليعلمهم تعاليم الدِّين الإسلامي، ودخل معه في الرِّباط للتعبد.

أما الأمير يحي بن عمر اللَّمتوني الذي تولى زعامة المرابطين بعد وفاة يحي بن إبراهيم الجدالي، شرع في الغزو والتوسع لنشر الإسلام في المغرب وبلاد السودان الغربي إلى غاية وفاته في إحدى المعارك سنة 448هـ/ 1056م.

الكلمات المفتاحية: يحي بن إبراهيم الجدالي؛ يحي بن عمر اللَّمتوني عبد الله بن ياسين الجزولي؛ المرابطون؛ المغرب.

مقدمة:

تولى الأمير يحي بن إبراهيم الجدالي رئاسة قبائل صنهاجة الجنوب، ودخل رفقة الأمير يحي بن عمر اللَّمتوني ومعلمهما الفقيه عبد الله بن ياسين الجزولي ورجال آخرين في رباط، أنشؤوه في إحدى جُزر مصب نهر السنغال لغرض التعبد، وحين وفاة يحي بن إبراهيم الجدالي عيَّن الفقيه ابن ياسين، يحي بن عمر اللَّمتوني أميرًا على قبائل صنهاجة الجنوب، وحينما بلغ عددهم في الرباط نحو ألف رجل دعاهم الفقيه ابن ياسين رفقة أميرهم يحي بن عمر إلى قتال من خالفهم من قبائل صنهاجة.

المؤلف المرسل: خالد حموم
Khaled_dz2011@yahoo.fr

ويهدف هذا البحث للتَّعريف بشخصية الأميرين المذكورين أعلاه، والبحث في ظروف وكيفية تأسيس دولة المرابطين من طرف قبائل صنهاجة الصحراء، ويعالج الإشكالية الآتية: كيف ساهم الأميران يحي بن إبراهيم الجدالي ويحي بن عمر اللَّمتوني في تأسيس دولة المرابطين ؟

ويعالج أيضًا التَّساؤلات الآتية: كيف نشأ الأميران ؟ كيف وصلا للحكم ؟ ما هي أهم أعمالهما ؟ وكيف كانت علاقتهما بالفقيه عبد الله بن ياسين الجزولي ؟ وما هي الحروب التي خاضوها ؟ وكيف كانت نهايتهما ؟

للإجابة على مجموعة التَّساؤلات المطروحة اتبعت الخطة التَّاليَّة: قسَّمت البحث إلى مقدمة، عرَّفت فيها بالموضوع وإشكاليته وخطة العمل والمنهجيَّة المتبعة في البحث، ومبحثين حاولت من خلالهما إبراز دور الأميرين يحي بن إبراهيم الجدالي ويحي بن عمر اللَّمتوني في تأسيس دولة المرابطين، وأخيرًا أنهيت الموضوع بخاتمة حوت أهم النَّتائج المتوصل إليها في البحث.

وفيما يخص المنهجيَّة التي تناولت بها الموضوع فتمثلت في السرد التَّاريخي للأحداث، وكانت عملية السرد اعتمادًا على المصادر وهو منهج لا يمكن الاستغناء عنه في الكتابات التَّاريخيَّة، وتخلَّل هذا السرد منهج التَّحليل لإظهار ما أمكن إظهاره من الحقائق والجوانب الخفيَّة.

1- الأمير يحي بن إبراهيم الجدالي:

1-1- نشأته وصفاته ورحلته للحج:

قبل الحديث عن الدور الذي قام به الأمير يحي بن إبراهيم الجدالي لتأسيس الدولة المرابطية، رأيت أنَّه من الضروري التعريف به بإيجاز، بالكلام عن نشأته وصفاته ورحلته للحج وطلب العلم.

لم تذكر المصادر التَّاريخية أية معلومة عن ميلاد ونشأة هذا الأمير، واكتفى ابن أبي زرع بالقول إنَّه تولى أمر قبائل صنهاجة بعد وفاة صهره أبي عبد الله محمَّد بن تيفاوت المعروف بتارشتا اللَّمتوني (ابن أبي زرع، 1972: 121) بينما يقول ابن الخطيب أنَّه تولى بعد استشهاد محمَّد بن نيفات اللَّمطي في معركة بينه وبين أهل بلاد السودان الغربي (ابن الخطيب، 1964: 226).

وعن صفاته فقد كان شيخًا تقيًا، ورعًا، وهو أول من فكر في عملية الإصلاح الدِّيني والاجتماعي في صحراء المغرب الكبرى (سعد زغلول عبد الحميد، 1995: 170) وكان مشهورًا بين النَّاس (ابن الخطيب 1964: 226) وتميز عنهم برجاحة العقل وبعد النظر وصدق الإيمان بدينه ومستقبل أمته (حسن أحمد محمود، د.ت: 104).

هذه الصفات جعلت الأمير يحي بن إبراهيم الجدالي يدرك أنَّه ينبغي على أمراء الملثمين (حول اللِّثام، ينظر: التعليق رقم 1) أن يتخذوا سياسة عالمية، بدلًا من سياسة محلية صرفة، عن طريق وصل مجتمعهم بسائر المجتمعات المغربية الأخرى، أعني وصل تاريخ صنهاجة الجنوب لا بتاريخ بلاد السودان الغربي (تعريف بلاد السودان الغربي، ينظر: التعليق رقم 2)

فحسب بل بتاريخ العالم الإسلامي في المغرب والمشرق (حسن أحمد محمود، د.ت: 104).

لأجل تحقيق هذا الهدف، خرج الأمير يحي بن إبراهيم من بلاده متجهًا إلى الحجاز لأداء فريضة الحج سنة 427هـ/ 1036م (ابن أبي زرع، 1972: 122) بعد أن استخلف ابنه إبراهيم على رياسة قومه وحروبهم مع أعدائهم (ابن الخطيب، 1964: 226).

وحينما عاد من رحلة الحج لقي شيخ المذهب المالكي بالقيروان أبا عمران الفاسي، فأخذ منه العلم، وطلب منه أن يرسل إلى قومه تلميذًا يعلمهم تعاليم الدِّين الإسلامي (القاضي عياض، د.ت: 781) (ابن الأثير، 1982: 618) فجمع الشَّيخ تلاميذه وعرض عليهم الذهاب مع يحي بن إبراهيم الجدالي إلى مضارب قبائل صنهاجة الجنوب، فلم يقبل أحد منهم الأمر لبُعد الدار ومشقة السفر والانقطاع عن الأهل في الصحراء (ابن أبي زرع، 1972: 122) (حسن أحمد محمود، د.ت: 111-112) فأعطاه لأجل تحقيق غايته رسالة يحملها إلى تلميذ له بمدينة نفيس هو وجاج بن زلو اللَّمطي (عن نص الرِّسالة، ينظر: التعليق رقم 3) فاختار له وجاج تلميذًا صالحًا من تلاميذه هو عبد الله بن ياسين الجزولي (ابن أبي زرع، 1972: 122-123).

1-2- عودته إلى الصحراء واصطحابه الفقيه ابن ياسين معه:

دخل الأمير يحي بن إبراهيم الجدالي الصحراء صحبة الفقيه عبد الله بن ياسين الجزولي، وكانت لمتونة أول القبائل التي استقرا بها فلما وصلا نزل يحي بن إبراهيم عن راحلته، وأخذ بزمام البعير الذي كان

يركبه عبد الله تعظيمًا له (الذهبي، 1986: 426) وكان يُعرِّفه للنَّاس قائلًا لهم ﴿هذا حامل سنة رسول الله﴾، وقد تلقاهما النَّاس بالإكرام وفرحوا بقدومهما غاية الفرح (ابن أبي زرع، 1972: 123-124).

هذا ما شجع ابن ياسين على الإقبال على تعليم النَّاس القرآن والسنة النبوية، خاصةً بعـد أن وجد أكثر الملثمين لا يُصلون ولا يزكون وليس عندهم من الإسلام إلَّا الشهادة، وقد غلب عليهم الجهل (ابن أبي زرع، 1972: 124) ولأجل ذلك لقي عبد الله صعوبات كبيرة في إقناع النَّاس واصطدمت تعاليمه بمصالح الأمراء والأشراف، فثاروا عليه وكادوا يقتلونه (البكري، 1992: 859-860).

فعزم ابن ياسين على ترك قبيلة لمتونة والعودة من حيث أتى لو لا أنَّ يحي بن إبراهيم الجدالي ألَّح عليه وطلب منه أن يُصاحبه إلى الجنوب نحو قبيلة جدالة قائلًا له: ﴿أني لأتركك تنصرف و إنَّما أتيت بك لأنتفع بعلمك في خاصة نفسي وديني، وما عليَّ فيمن ضلَّ من قومي﴾ (ابن أبي زرع، 1972: 124) وقد قام بهذا العمل علَّه يجد في قومه قبيلة جدالة، المعونة والتأيِّيد لتحقيق غايته في إبقاء ابن ياسين بجواره.

1-3- إنشائه الرِّباط رفقه الفقيه ابن ياسين:

قرَّر الفقيه عبد الله بن ياسين أن يرحل إلى قبيلة جدالة مع الأمير يحي بن إبراهيم الذي أصبح أكبر تلاميذه وعزم على الانقطاع للعبادة في الأماكن النائية وذلك عن طريق إنشاء رباط متبعًا في ذلك سُنة معلمه وجاج بن زلو اللَّمطي مؤسِّس رباط نفيس وممتثلًا لقوله تعالى: ((يَا أَيُّهَا

اَلَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ)) (سورة آل عمران، الآية: 200) ولقوله صلَّى عليه وسلم ((رِبَاط يَوْمٍ فِي سَبِيلِ اللهِ خَيرٌ من الدُّنياَ ومَا عَلَيْهَا، ومَوْضِعُ سَوْطِ أَحَدِكُمْ منْ الجَنَّةِ خَيرٌ من الدُّنْيَا وَمَا عَلَيْهَا، والرَّوْحَةُ يَرُوحُهَا الَعبْدُ فِي سَبِيلِ اللهِ أو الغُدْوَةُ خَيرٌ من الدُّنيا وما عَلَيْهَا)) (البخاري، د. ت: 43).

و دلَّه الأمير يحي بن إبراهيم الجدالي على المكان المناسب لإنشاء الرِّباط على اعتبار أنَّه ابن المنطقة، ويعرف المكان المناسب لإقامة مثل هذا الصرح، وينقل لنا ابن أبي زرع قول الأمير يحي للفقيه ابن ياسين في هذا الشأن ﴿ولكن يا سيدي هل لك في رأي أشير به عليك إن كنت تريد الآخرة قال ما هو؟ قال: إن هاهنا في بلادنا جزيرة في البحر إذا انحسر البحر دخلنا إليها على أقدامنا، وإذا امتلأ دخلناها في الزوارق، وفيها الحلال المحض الذي لا شك فيه من أشجار البرية وصيد البر وأصناف الطير والوحش والحوت، فندخل إليها فنعيش فيها بالحلال ونعبد الله تعالى حتى نموت، فقال له عبد الله بن ياسين هذا حسن، فهلم بنا ندخلها على اسم الله﴾. (ابن أبي زرع، 1972: 124-125).

وقد عدَّ الأستاذ حسن أحمد محمود أنَّه إثر إنشاء الرِّباط بدأ الدور الإيجابي لدعوة الفقيه عبد الله بن ياسين (حسن أحمد محمود، د.ت 123) حيث كان لهذا الرَّباط الذي أنشأه في إحدى جُزر مصب نهر السنغال (عن موضع الرِّباط، ينظر: التعليق رقم 4) الفضل في نجاح دعوته واستمرار قيامها رغم

المؤلف المرسل: خالد حموم
Khaled_dz2011@yahoo.fr

وفاته في إحدى المعارك بعد ذلك بيسير (ولد الحسين الناني، 2007 229 وما بعدها).

وقد رافقه في رحلته التَّعبديَّة هذه الأمير يحي بن إبراهيم وسبعة رجال من قبيلة جدالة، ويحي بن عمر، وأخوه أبو بكر بن عمر اللَّمتونيين اللَّذين سيكون لهما دور كبير في بناء صرح دولة المرابطين (ابن خلدون، 1971: 183).

وفي هذه الجزيرة، كان الفقيه عبد الله بن ياسين يُقرئهم القرآن و يستميلهم إلى الخير ويُرغبهم في ثواب الله، ويُحذرهم ألم عِقابه، حتَّى تمكن حُبه من قلوبهم (حمدي عبد المنعم محمَّد حسين ، 2008: 40) وغدا في نظرهم في مرتبة الأولياء الصالحين (مقلد الغنيمي عبد الفتاح، 1994: 121) Gaid (Mouloud: p14).

ولم يلبث أن تسامع النَّاس بأخبار هؤلاء المتعبدين، فكثر القادمون عليهم حتَّى بلغ عددهم نحو ألف رجل من أشراف صنهاجة، فسماهم ابن ياسين المرابطين (ابن أبي زرع، 1972: 125) (ابن الخطيب 1964: 228) واستمر الفقيه عبد الله بن ياسين في تهيئتهم روحيًا، خلقيًا اجتماعيًا، سياسيًا وعسكريًا، وأخلص له هؤلاء الرِّجال وأطاعوه طاعة عمياء. (سالم السيد عبد العزيز، 1981 695).

1-4- حروبه مع ابن ياسين ووفاته:

استجاب الأمير يحي بن إبراهيم الجدالي وبقية المرابطين لدعوة الفقيه ابن ياسين إلى قتال من خالفهم من قبائل صنهاجة (ابن الخطيب، 1964 228) فقد رأى ابن ياسين بعد أن مكثوا في الرِّباط ثلاثة أشهر أنَّهم

المؤلف المرسل: خالد حموم
Khaled_dz2011@yahoo.fr

أصبحوا يُشكلون قوةً لا يستهان بها، فدعاهم لأجل إنقاذ بلاد المغرب الأقصى من التجزئة والتفرقة، فخاطبهم قائلًا: ﴿يا معشر المرابطين إنَّكم جمعٌ كثيرٌ، وأنتم وجوه قبائلكم ورؤساء عشائركم، وقد أصلحكم الله تعالى وهداكم إلى صراطه المستقيم، فوجب عليكم أن تشكروا نعمته عليكم وتأمروا بالمعروف، وتنهوا عن المنكر وتجاهدوا في سبيل الله حق جهاده﴾. فاستجاب القوم لندائه حيث قالوا له:﴿أيها الشَّيخ المبارك مُرنا بما شئت تجدنا سامعين مُطيعين ولو أمرتنا بقتل آبائنا لفعلنا﴾ (ابن أبي زرع، 1972: 125).

فسمح لهم ابن ياسين بالخروج بعد أن ينذروا قومهم وعشيرتهم سبعة أيام (ابن الخطيب، 1964: 228) وقال لهم ﴿اخرجوا على بركة الله وانذروا قومكم وخوفوهم عقاب الله، وأبلغوهم حجته، فإن تابوا ورجعوا إلى الحق وأقلعوا عما هم عليه فخلوا سبيلهم، وإن أبوا من ذلك وتمادوا في غيهم ولجوا في طغيانهم استعنا بالله تعالى عليهم، وجاهدناهم حتَّى يحكم الله بيننا وهو خير الحاكمين﴾. (ابن أبي زرع، 1972: 125).

وعندما رفض القوم إجابة هؤلاء المرابطين، شرع في الغزو بقيادة الأمير يحي بن إبراهيم مبتدئًا بقبيلة جدالة، فأوقع فيهم الهزيمة بعد أن قتل منهم ستة آلاف رجل وأسلم من بقي منهم إسلامًا صحيحًا (ابن الخطيب، 1964: 228).

ثمَّ غزا لمتونة ومسوفة وسائر قبائل صنهاجة حتى أذعن الجميع، واستقامت السُبل وقُرئ القرآن وأديت الزكاة وأقيمت الصلاة (ابن الخطيب، 1964: 228) وحسن إسلامهم.

ثمَّ أركب الجيوش واستولى على بلاد الصحراء، واستتم أمره فأقبل عليه النَّاس. فتوفي الأمير يحي بن إبراهيم الجدالي سنة 440هـ/ 1048م (عن تاريخ الوفاة وسببه، ينظر: التعليق رقم 5) فعيَّن ابن ياسين، يحي بن عمر اللَّمتوني أميرًا جديدًا على المرابطين.

2- الأمير يحي بن عمر اللَّمتوني:

2-1- نشأته، نسبه وصفاته:

لزامًا علينا قبل التطرق للحديث عن الدور الذي قام به الأمير يحي بن عمر اللَّمتوني لتأسيس دولة المرابطين، تقديم توضيح حول نشأته وتعريف موجز عن نسبه وصفاته.

ففيما يخص ولادته ونشأته فلم تذكر كتب التَّاريخ شيئًا منها ويتفق المؤرخون في كونه من قبيلة لمتونة الصنهاجيَّة، ولكنهم يختلفون في ذكر أسماء أجداده، حيث قال ابن أبي زرع بأن والده هو عمر بن تلاكاكين بن ورتانطق اللَّمتوني المحمَّدي الصَّنهاجي (ابن أبي زرع 1972: 133) في حين يقول ابن عذارى أنَّه أبو زكريا يحي بن عمر بن إبراهيم بن ترجوت بن ورتاسن بن منصور بن مصالة بن أمية بن وانمالي اللَّمتوني الصنهاجي (ابن عذارى، 1998: 17) بينما يقول صاحب الحُلل الموشية بأنَّه أبو زكريا يحي بن عمر بن إبراهيم بن تورقيت بن ورتاقطن بن منصور بن

مصالة بن مانية بن ونمالي الصنهاجي (مجهول، الحُلل الموشيَّة، 1979: 23-24) ويتضح لنا جليا أنَّ أسماء أجداد الأمير يحي بن عمر جاءت متطابقة إلى حد ما عند ابن عذارى وصاحب الحُلل الموشيَّة رغم الاختلاف البسيط بينهما في حروف بعض الأسماء، أما ابن أبي زرع فيختلفان معه بنسبة كبيرة. وأرى أنَّ رأيهما هو الأرجح.

وفيما يخص أبنائه، فيذكر ابن عذارى أنَّ له ثلاثة أولاد هم محمَّد وعلي وعيسى (ابن عذارى، 1998: 17).

وبالنِّسبة لصفاته فقد كان من أهل الدِّين المتين والفضل والورع والزهد في الدنيا والصلاح (ابن أبي زرع، 1972: 127) ويذكر ابن الخطيب أنَّه كان رجلًا صالحًا (ابن الخطيب، 1964: 228) سماه الفقيه عبد الله بن ياسين بأمير الحق (ابن عذارى، 1998: 12).

2-2- توليه إمارة المرابطين:

تذكر جميع المصادر التَّاريخية أنَّ الأمير يحي بن عمر كان من أشد النَّاس انقيادا للفقيه عبد الله بن ياسين الجزولي، وكان هذا الأخير هو الذي يأمر وينهى، ويحي بن عمر يستجيب لأوامره وينتهي بنواهيه بدون تردد. ومن حسن طاعته له أنَّه قال له يومًا ﴿أيُّها الأمير إنَّ عليك حقًا أدبًا، فقال له يحي فما الذي أوجبه عليَّ ؟ قال له عبد الله إني لا أخبرك به حتَّى أؤدبك وآخذ حقَّ الله منك. فأطاع له الأمير بذلك وحكمه في بشرته فضربه الفقيه ضربات بالسوط، ثمَّ قال له: الأمير لا يدخل القتال

بنفسه لأنَّ حياته حياة عسكره وهلاكه هلاكهم﴾ (البكري 1992: 861) (ابن أبي زرع، 1972: 127) (ابن عذارى، 1998: 11).

وبما أنَّ الأمير يحي بن عمر كان منقادًا في جميع أموره لإمامه عبد الله بن ياسين، فمن الطبيعي أن يختاره لزعامة المرابطين بعد وفاة الأمير يحي بن إبراهيم الجدالي، وتجدر بنا الإشارة في هذا المقام إلى أن زمام الأمور كانت بيد الفقيه عبد الله بن ياسين، وكان الأمير يحي أميرًا بصفة شكلية فقط، رغم كون ابن ياسين يقول للمرابطين ﴿إنَّما أنا معلم دينكم﴾ (مجهول، الحُلل الموشيَّة، 1979: 21).

وحين تولى الأمير يحي بن عمر اللَّمتوني أمر المرابطين واجهته أزمة حادة كادت تعصف بوحدة قبائل صنهاجة، فقد كان الجداليون يرون أنَّهم أحق بالإمارة لأنَّهم هم من أوى الفقيه عبد الله بن ياسين ونصروه، وبثوا الدعوة واحتضنوها، حتَّى شبت على الطوق واشتد ساعدها، ولكن ابن ياسين لم يشأ أن ينساق وراء النزاعات القبلية ورأى أن يحي بن عمر اللَّمتوني أصلح القوم وأطهرهم نفسًا وأحسنهم أخلاقًا، وأصدقهم إيمانًا بالدعوة، وأقدرهم على الاضطلاع بعبء القتال (حسن أحمد محمود، د.ت: 147) ورغم هذا لا يمكن أن نتجاهل عامل الولاء والطاعة، فكما ذكرنا سابقًا فإنَّ الأمير يحي بن عمر اللَّمتوني كان أشد المرابطين انقيادًا للفقيه ابن ياسين، فمن المؤكد أنَّ هذا الأخير كان خائفًا على تولية رجل آخر يكون أقل ولاءً له، فلا يستجيب لأوامره ولا ينته بنواهيه، فتقع الخلافات بينهما.

والمهم في الأمر أنَّ الأمير يحي والفقيه عبد الله تمكنا من إخضاع المتمردين من قبيلة جدالة، حيث جمع ابن ياسين مجلسًا من وجوه القوم، وحكم على المحرض على الفتنة بالموت جزاء خيانته فاستطاع بسياسة الحزم والقوة هذه أن يقضي على الفتنة في مهدها، وأن يرد الوحدة إلى المجتمع المرابطي (حسن أحمد محمود، د.ت: 147).

2-3- حروبه:

للأسف الشديد فالمعلومات في المصادر التَّاريخية شحيحة جدًا حول حروب وغزوات الأمير يحي بن عمر اللَّمتوني، خاصةً في بداية إمارته، وعلى كلٍ فقد خاض الكثير منها.

ففي عام 444هـ/ 1052م بعث فقهاء درعة وسجلماسة بكتبهم إلى الأمير يحي بن عمر والفقيه عبد الله ابن ياسين (ابن خلدون 1971: 183) يشكون ممَّا يقع في بلادهم من ضروب الظلم والخروج عن أحكام الدِّين ويطلبون منهما القدوم لإشاعة العدل، ولوضع حد لمظالم بني وانودين (حسن علي حسن، 1980: 23) فخرج الجيش المرابطي بقيادة ابن ياسين سنة 445هـ/ 1053م إلى مدينة درعة التي استولوا عليها، ثمَّ اتجهوا نحو مدينة سجلماسة بعد أن خـاطبوا أهلها ورئيسهم، فلم يُجيبوهم إلى ما أرادوا فغزوهم في جيش عُدته ثلاثون ألف جمل (البكري، 1992: 861) فقتلوا أميرها مسعود بن وانودين واستولوا على مدينة سجلماسة فاستأصلوا معالم الفساد واللَّهو فيها وأسقطوا المكوس والمغارم عن أهلها، وكان ذلك بداية الفتح المرابطي للمغرب الأقصى (ابن كثير، 2006: 802).

وقد عبَّد الاستيلاء على مدينتي درعة وسجلماسة الطريق لجموع المرابطين للاتجاه نحو الجنوب لمحاولة فتح مدينة أودغست في حدود سنة 446هـ/ 1054م (البكري، 1992: 862) والتي كانت خاضعة لمملكة غانة، فاستولوا عليها وهكذا ارتبطت غانة برباط الإسلام وأصبحت طرق التجارة التي تربط بين المغرب وبلاد السودان الغربي تحت نفوذ المرابطين (و.يوفيل، 1978: 69).

استطاع الأمير يحي بن عمر اللَّمتوني رفقة الفقيه عبد الله بن ياسين وباقي المرابطين، في هذه الفترة أن يضعوا ثلاث لبنات في صرح دعوة المرابطين، حيث أخضعوا غانة، وقهروا جدالة، واستمالوا لمتونة (حسن أحمد محمود، د.ت، ص152).

2-4- وفاته:

استمر الأمير يحي بن عمر في حروبه في بلاد المغرب والسودان الغربي إلى غاية وفاته سنة 448هـ/ 1056م، وقد اختلف المؤرخون حول تاريخ وكيفية وفاته، فيرى البكري بأنَّه توفي سنة 448هـ/ 1056م مقتولًا في معركة بجبل لمتونة ضدَّ جيوش قبيلة جدالة (البكري، 1992: 862) ويتفق معه ابن عذارى ولكنه لم يحدد تاريخ الوفاة بدقة حيث قال أنَّه قتل في سنة 448هـ/ 1056م وقيل سنة 449هـ/ 1057م (ابن عذارى، 1998: 14) بينما يرى ابن أبي زرع أنَّه توفي سنة 448هـ/ 1056م في جهاد كان ببلاد السودان الغربي (ابن أبي زرع، 1972: 128) واكتفى صاحب الحُلل الموشيَّة بالقول أنَّه توفي في معركة في بلاد درعة مع جيش جدالة (مجهول، الحُلل

الموشيَّة، 1979: 23) ويرى ابن الخطيب أنَّه توفي بسجلماسة في وقعة مع أهلها عندما ثاروا على اللَّمتونيين سنة 447هـ/ 1055م (ابن الخطيب، 1964: 229) بينما يذكر ابن خلدون أنَّه توفي عندما عاد إلى الصحراء بعد استيلاءه على سجلماسة سنة 447هـ/ 1055م (ابن خلدون، 1971: 183). وأرى أنَّ الأرجح هو رأي البكري فهو معاصر للمرابطين، والأقرب للحدث بالمقارنة مع بقية المؤرخين.

ورغم وفاته إلَّا أنَّ دولة المرابطين استمرت بعده، وأضحت مع مرور السنين أكثر قوةً، فقد تولى أمرها أخوه أبو بكر بن عمر اللَّمتوني، ثمَّ ابن عمه يوسف بن تاشفين، واستمرا في حروبهما فتوسعت بذلك رقعة الدَّولة المرابطية، فشملت كامل بلاد المغرب الأقصى والجزء الغربي من المغرب الأوسط، وأجزاء كبيرة من بلاد السودان الغربي، والأندلس، وأضحت أقوى دولة في الغرب الإسلامي في أواخر القرن الخامس وبداية القرن السَّادس الهجريين.

خاتمة:

توصلت من خلال هذا البحث للعديد من النتائج وهي:

- كان للأميرين يحي بن إبراهيم الجدالي، ويحي بن عمر اللَّمتوني الفضل في وضع الأسس الأولى لقيام دولة المرابطين في بلاد المغرب الإسلامي.
- الرِّباط الذي أنشأه الفقيه عبد الله بن ياسين الجزولي رفقة الأميرين يحي بن إبراهيم الجدالي ويحي بن عمر اللَّمتوني وغيرهما من رجال قبيلة

صنهاجة الجنوب، كان بمثابة النواة الأولى وحجر الأساس ومنطلق لبناء دولة المرابطين.

- طاعة أوامر الفقيه ابن ياسين والانقياد التام له من قبل الأميرين يحي بن إبراهيم الجدالي ويحي بن عمر اللّمتوني وباقي المرابطين، كان من الأسباب الرئيسية لنجاح دعوتهم وإقامة دولتهم المرابطية.

- خاض الأميران يحي بن إبراهيم الجدالي ويحي بن عمر اللّمتوني رفقة زعيمهم الروحي الفقيه عبد الله بن ياسين الجزولي حروبًا طاحنة سواءً ضد مخالفيهم من قبائل صنهاجة وباقي قبائل المغرب، أو ضد كفار بلاد السودان الغربي، انتصروا في أغلبها بفضل ذكائهم وصبرهم وتفانيهم في القتال.

- تمكن المرابطون في عهد الأميرين يحي بن إبراهيم الجدالي ويحي بن عمر اللّمتوني من فتح أجزاءً لا بأس بها من بلاد السودان الغربي ونشر الإسلام بها.

- استمرت دولة المرابطين بعد وفاة الأميرين يحي بن إبراهيم الجدالي ويحي بن عمر اللّمتوني، وأضحت أكثر قوة في عهد الأميرين أبي بكر بن عمر اللّمتوني ويوسف بن تاشفين.

التعليقات:

التعليق رقم 1: أُطلق اسم الملثمين على جميع قبائل صنهاجة الجنوب لأنهم يُغَطُّونَ وجهوهم بلثام، ويتخذونه شعارًا لهم، ولا ينزع الرجل منهم اللثام طيلة حياته، وقيل إن نزعه لا يعرفه أحد حتَّى يلبسه من

المؤلف المرسل: خالد حموم
Khaled_dz2011@yahoo.fr

جديد، وقد أوردت المصادر التَّاريخية العديد من الروايات حول سبب ارتدائهم اللثام. (ينظر: ابن عبدون، 1955: 28) (شعيرة محمَّد عبد الهادي، 1969: 31).

التعليق رقم 2: تقع بلاد السودان الغربي جنوب المغرب الأقصى وهي بُلدان عريضة إلَّا أنها قَفِرَةٌ، النَّاس بها أشد الأمم سوادًا، وهذه البلاد مشهورة بتجارة الذهب، الملح، الرقيق وغيرها من المنتوجات، من أهم مدنه السنغال، غانا، تكرور، أودغست وغيرها. (ينظر: الأصطخري: 1961: 34) (المسعودي، 1988: 164).

التعليق رقم 3: رسالة الشَّيخ أبو عمران الفاسي إلى تلميذه وجاج بن زلو اللَّمطي

سلام عليكم ورحمة الله، أمَّا بعد:

إذا وصلك حامل كتابي هذا وهو يحي بن إبراهيم الجدالي فابعث معه إلى بلاده من طلبتك من تثق بدينه وورعه وكثرة علمه وسياسته ليعلمهم القرآن وشرائع الإسلام ويفقههم في دينهم وله و لك في ذلك الثواب والأجر العظيم، والله لا يضيع أجر من أحسن عملًا. والسَّلام. (ابن أبي زرع، 1972: 123).

التعليق رقم 4: لم تُحدَّد أغلب المصادر التَّاريخيَّة المكان الذي أقيم فيه الرِّباط، والمصادر التي تحدثت عنه لم تحدِّده بدقة، حيث ذكر ابن أبي زرع بأنَّه بجزيرة في البحر ولم يذكر أين توجد تلك الجزيرة بالتَّحديد والظاهر أنَّه يقصد بالبحر، بحر الظلمات (المحيط الأطلسي)، ولم يحدد ابن الخطيب

المؤلف المرسل: خالد حموم
Khaled_dz2011@yahoo.fr

المكان بدقة حيث قال في جزيرة من جزائر البحر الغربي وكذلك ابن خلدون الذي قال بأنَّه يقع في ربوة يحيط بحر النيل من جهاتها ضحضاحًا في المصيف وغمرًا في الشتاء فتعود جزرًا منقطعة ويبدو أنَّ ابن خلدون يقصد من مصطلح بحر النيل، النهر لهذا اعتقد الباحثون أنَّه نهر السنغال؛ وقد اختلفت المراجع الحديثة هي الأخرى في تحديد المكان، وذكر العديد من المؤرخين مثل حسن أحمد محمود، ولد الحسين الناني، سعدون عبَّاس نصر الله، شعيرة محمَّد عبد الهادي أراء كثيرة، فقال البعض منهم بأنَّ موضع الرِّباط كان فيما يلي صحراء تارودانت إلى الجنوب على مقربة من جبال درن، وقال البعض الآخر يقع في جزيرة صغيرة تقع في مواجهة شاطئ المحيط الأطلسي على مقربة من بلدة أوليل قاعدة جدالة في الخليج الذي يطلق عليه الجغرافيون اسم خليج Arguin. وهناك من رجَّح أن تكون جزيرة تيدرة المحاذية لشواطئ صحراء الملثمين على المحيط الأطلسي والواقعة في منتصف المسافة بين مدينتي نواكشوط وانواذيبو الحاليتين هي الجزيرة التي أقيم فيها الرِّباط، وأكثرهم قال في إحدى جزر مصب نهر السنغال الأدنى التي تصبح في الصيف صلتها بالبرِّ ميسورة وفي الشتاء تنقسم إلى جُزر صغيرة، وهو الأقرب إلى الصواب حسب رأي أغلب المؤرخين المحدثين باعتبار المكان يقع بين مضارب الملثمين والزنوج، والرِّباط لا يبنى عادةً إلَّا في المناطق التي تتعرض للغزوِّ وكان الفقيه عبد الله بن ياسين يرمي إلى الجهاد ونشر الإسلام في ديار الزنوج وكذلك لوقف عدوانهم على الملثمين، كما أنَّ الحياة يسيرة في الجزر الواقعة في

مصب نهر السنغال بسبب وفرة المياه العذبة ووفرة النباتات والأشجار البرية، عكس الجزيرة الصغيرة التي تقع في مواجهة الشاطئ على مقربة من بلدة أوليل فالحياة بها شاقة بسبب قلة موارد الماء وضيق رقعتها فلا تستطيع أن تأوي عددًا ضخمًا من المرابطين الذي بلغ حسب معظم المصادر التَّاريخيَّة ألف رجل. وفيما يخص جزيرة تيدرة فإنَّ الباحثين لم يعثروا على آثار للمياه الصالحة للشرب في هذه الجزيرة وبالتالي لا يمكن لأحد العيش والمرابطة بها، ورغم أنَّهم لم يستبعدوا أن تكون المياه موجودة آنذاك إلا أنَّهم لم يقدموا دليلًا ملموسًا يثبت ذلك، وبالنِّسبة للرأي الذي يقول أنَّ موضع الرِّباط كان فيما يلي صحراء تارودانت إلى الجنوب فهو لا يطابق الحقيقة لأنَّ المصادر التَّاريخيَّة ذكرت أنَّ ابن ياسين عندما ثارت عليه قبيلة لمتونة اتجه جنوبًا إلى ديار جدالة وأنَّه لم يذهب إلى الشمال جهة صحراء تارودانت. (ابن أبي زرع، 1972: 124-125) (ابن الخطيب، 1964: 227) (ابن خلدون، 1971: 183) (حسن أحمد محمود، د.ت: 124 وما بعدها) (ولد الحسين الناني، 2007: 229 وما بعدها) (سعدون عبَّاس نصر الله، 1985: 26-27) (شعيرة محمَّد عبد الهادي، 1969: 39).

التعليق رقم 5: للأسف الشديد لم تذكر المصادر التَّاريخية سبب وفاة الأمير يحي بن إبراهيم الجدالي، ولا تاريخ وفاته بدقة، فيذكر ابن الخطيب أنَّه كان على قيد الحياة سنة 446هـ/ 1054م، وهذا التَّاريخ مستبعد كون الأمير يحي بن عمر كان أميرًا على المرابطين وكان يغزو ويتوسع في حروبه في بلاد المغرب وبلاد السودان الغربي فالأرجح أنّه توفي سنة

المؤلف المرسل: خالد حموم
Khaled_dz2011@yahoo.fr

440هـ/ 1048م. (ابن الخطيب، 1964: 228) (سعد زغلول عبد الحميد، 1995: 170).

المصادر والمراجع:

- القرآن الكريم، رواية ورش عن نافع.

- ابن الأثير، عز الدِّين أبو الحسن علي الشيباني، (1982). الكامل في التَّاريخ، مج9. بيروت: دار صادر.

- الإصطخري، ابن إسحاق إبراهيم بن محمَّد الفارسي (1961). المسالك والممالك، تحقيق محمَّد جابر عبد العال الحيني، مراجعة شفيق غربال الجمهورية العربية المتَّحدة.

- البخاري، محمَّد بن إسماعيل، (د. ت). صحيح البخاري- باب فضل رباط يوم في سبيل الله، مج2- ج4. بيروت: دار إحياء التراث العربي.

- البكري، أبو عُبيد الله بن عبد العزيز، (1992). المسالك والممالك تحقيق أدريان فان ليوفن واندري فيري، ج2. تونس: الدار العربية للكتاب.

- حسن أحمد محمود (د.ت). قيام دولة المرابطين صفحة مشرقة من تاريخ المغرب في العصور الوسطى، القاهرة: دار الفكر العربي.

- حسن علي حسن، (1980). *الحضارة الإسلامية في المغرب والأندلس عصر المرابطين والموحِّدين*، ط1. مصر: مكتبة الخانجي.

- حمدي عبد المنعم محمَّد حسين، (2008). التَّاريخ السِّياسي والحضاري للمغرب والأندلس في عصر المرابطين، مصر: دار المعرفة الجامعية.

- ابن الخطيب، لسان الدِّين أبو عبد الله محمَّد السليماني، (1964). تاريخ المغرب العربي في العصر الوسيط القسم الثالث من كتاب أعمال الأعلام،تحقيق وتعليق أحمد مختار العبادي ومحمَّد إبراهيم الكتاني، الدار البيضاء: دار الكتاب.

- ابن خلدون، عبد الرَّحمان بن محمَّد، (1971). العِبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، ج6. بيروت: منشورات الأعلمي للمطبوعات.

- الذَّهبي، شمس الدِّين أبي عبد الله محمَّد بن أحمد بن عثمان، (1986) *سِير أعلام النبلاء*، تحـقيق شعيب الأرنؤوط، محمَّد نعيم العرقسوسي ط4، ج18. بيروت: مؤسسة الرسالة.

- ابن أبي زرع، أبو الحسن علي بن عبد الله، (1972). الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، الرباط دار المنصورة للطباعة والوراقة.

- سعد زغلول عبد الحميد، (1995). تاريخ المغرب العربي المرابطون صنهاجة الصحراء الملثمون في المغرب والسودان والأندلس، ط1، ج4 الإسكندرية: منشأة المعارف.

- سعدون عباس نصر الله، (1985). دولة المرابطين في المغرب والأندلس عهد يوسف بن تاشفين أمير المرابطين، ط1. بيروت: دار النهضة العربية.

- السيد سالم عبد العزيز، (1981). المغرب الكبير العصر الإسلامي ج2. بيروت: دار النَّهضة العربية.

المؤلف المرسل: خالد حموم
Khaled_dz2011@yahoo.fr

- شعيرة محمَّد عبد الهادي، (1969). المُرابطون تاريخهم السِّياسي (430-529)هـ، ط1. القاهرة: مكتبة القاهرة الحديثة.

- ابن عبدون، محمَّد بن أحمد (1955). رسالة في آداب الحسبة والمحتسب، نُشرت ضمن ثلاث رسائل أندلسية، تحقيق ليقي بروقنسال مج2. القاهرة: مطبعة المعهد العلمي الفرنسي للأثار الشرقية.

- ابن عذارى المراكشي، (1998). البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تحقيق ومراجعة إحسان عباس، ج4، ط5. بيروت: دار الثقافة

- القاضي عياض، أبو الفضل عياض بن موسى بن عياض اليحصبي السبتي، (د.ت). ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك، تحقيق أحمد بكير محمود، ج2. بيروت: منشورات دار مكتبة الحياة.

- ابن كثير، عماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي (2006). *البداية والنهاية*، تحقيق محمود بن الجميل، ط1، ج6. الجزائر دار الإمام مالك.

- مجهول، مؤلف أنــدلسي من أهل القرن الثَّامن الهجري، (1979) الحُلل الموشيَّة في ذكر الأخبار المُرَّاكشيَّة، تحقيق سهيل زكار، عبد القادر زمامة، ط1. الدار البيضاء: دار الرشاد الحديثة.

- المسعودي، أبو الحسن علي بن الحسين بن علي (1988). مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق محمَّد محي الدِّين عبد الحميد، ج1 بيروت: المكتبة العصرية.

المؤلف المرسل: خالد حموم
Khaled_dz2011@yahoo.fr

- مقلد الغنيمي عبد الفتاح، (1994) موسوعة تاريخ المغرب العربي المغرب العربي بين الفاطميين والمرابطين والموحِّدين 296-668هـ / 910-1270م، ط1، مج2، ج3. القاهرة: مكتبة مدبولي.

- ولد الحسين الناني، (2007م). صحراء الملثمِّين دراسة لتاريخ موريتانيا وتفاعلها مع محيطها الإقليمي خلال العصر الوسيط من منتصف القرن 2هـ/ 8م إلى نهاية القرن 5هـ/ 11م، تقديم محمَّد حجي ط1. ليبيا: دار المدار الإسلامي.

- و. يوفيل، (1978). *العهد الذهبي لتجارة المسلمين في شمال إفريقيا وغربها*. *مجلة الأصالة*، تصدرها وزارة الشؤون الدينية، الجزائر، العددان 58-59، السنة السابعة.

- Gaid Mouloud, les Berbers dans l'histoire, les Mourabitines d'hier et les Marabouts d'aujourd'hui, tome7, Alger: édition Mimouni.

المؤلف المرسل: خالد حموم
Khaled_dz2011@yahoo.fr